البديع في الأحاديث النبوية الشريفة
دراسة بلاغية تطبيقية

HANANAH MUKHTAR THABRANI
Fakultas Tarbiyah dan Adab
IAIN Sultan Maulana Hasanuddin Banten
hananahmukhtar@gmail.com

Abstrak

Ketinggian nilai sastra bukan hanya terdapat dalam Al-Qur'ān saja, melainkan juga dalam hadits-hadits Nabi. Sebagaimana halnya Al-Qur'ān, hadits-hadits Nabi dinilai terbebas dari kecacatan dan pertentangan kebahasaan, baik dari segi keserasian huruf-hurufnya atau kalimat-kalimatnya. Hal inilah yang mendorong derajat ketinggian sastra dalam hadits. Rasulullah saw bersabda, "Aku dianugerahi sesuatu yang belum dianugerahkan kepada siapapun sebelumku. Di antara anugerah itu adalah jawāmi' al-kalam".

Tulisan ini memaparkan beberapa sisi kesusasteraan yang terdapat dalam hadits Nabi, terutama dalam tinjauan ilmu Badī'. Sebagai salah satu cabang ilmu sastra Arab, ilmu Badi' memfokuskan kajian pada keindahan-keindahan lafadz dan keindahan makna. Dari lima buah hadits yang dijadikan objek kajian, penulis menemukan setidaknya delapan segi ilmu Badī' yaitu : jinas naqsih muthlaq, jinas isytiqāq, sihhatut taqsīm, thibāq ījāb, thibāq salb, uslubul hakim, raddul 'ajzi ilā ash-shadril iqtibās, dan saja'al mutharraf.

Kata Kunci : *Balaghah, Badī', Hadits Nabi*

صورة التجريدية

إن الإعجاز اللغوي ليس في القرآن فحسب ، وإنّما أيضا في الأحاديث النبوّيّة. أحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم كلام فصيح لسلامته من أي تنافر، سواء في حروفه أو في كلماته أو في جملته، كما أنه كلام بليغ بديعي لوصوله إلى أعلى مراتب البلاغة واشتمالها على أنواع البديع المختلفة، وصدق الرسول عليه الصلاة والسلام حيث يقول: (أعطيت ما لم يعط أحد قبلي، منها جوامع الكلم).

في هذا البحث ، حاولتُ أن أطبّق ما طرأ في بعض الأحاديث النبوية الشريفة من بلاغة وبخاصة ما يخص بفرعها البديعي. والبديع أحد فروع البلاغة العربية، يهتم بمحسنات اللفظ والمعنى نثرا وشعرا، بحيث يكون اللفظ منظما منسجما يعطي الجملة رونقا وجمالا، كما يكون المعنى مفهوما سلسا وبليغا يجعل الجملة سرعان ما تدخل الوجدان ويترك أثرا قويا في النفوس دونما عناء لفهمه.

واستنتجتُ من خلال البحث استخدام الرسول صلى الله عليه وسلم في خمسة أحاديث ثمانية أنواع من الفنون البديعية، وهي الجناس الناقص المطلق وجناس الاشتقاق وصحة التقسيم وطباق الإيجاب وطباق السلب وأسلوب الحكيم ورد العجز إلى الصدر الاقتباس والسجع المطرف أو لزوم ما يلزم.

مفتاح الألفاظ : *البلاغة ، البديع، الأحاديث النبوّية*

مقدمة

إن القرآن الكريم كتاب أحكمت آياته تنزيل من حكيم حميد، لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، هذا الكتاب يتحدى به رب العالمين أرباب الفصاحة والبلاغة من بلغاء العرب بأن يأتوا بمثله أو بعشر سور منه أو بسورة من مثله أو بآية منه، بأن يدعوا شهداءهم من دون الله، فلا يأتوا ببعض آية مثله، هذا الكتاب الخالد كلام معجز بليغ من كلام رب العالمين.

وأما الرسول الأعظم –صلى الله عليه وسلم– فهو النبي المختار الذي شرفه الله لتبليغ رسالته بوحيه رحمة للعالمين، وقد أرسله إليهم بشيرا ونذيرا وداعيا إلى الله بإذنه وسراجا منيرا، فهذا الرسول هو أفصح من نطق بالضاد من العرب، وهو الأمين الذي خصه الله تعالى لنزول القرآن إليه ونزول مثله معه وهو أحاديثه الشريفة، فكانت هذه الأحاديث الشريفة أيضا من كلام بليغ من جوامع الكلم التي أوتي بها الرسول صلى الله عليه وسلم ولم يؤت بها أحد قبله.

وقد اختار الله عز وجل اللغة العربية بأن تكون وعاءا لوحيه، كما اختار نبيه العربي رسولا لتبليغ رسالته. وذلك لما للغة العربية من مقومات وإمكانات واسعة لاستيعاب جميع ما حواه وحي الله من شريعة وتعاليم سواء ما جاء في القرآن الكريم أو في الأحاديث النبوية الشريفة. وقد بلغت اللغة العربية ذروتها وكمالها في قواعدها من نحو وصرف وبلاغة، بالمقارنة إلى غيرها من لغات العالم.

وتعتبر البلاغة أحد فروع اللغة العربية الأساسية التي تعنى بجمال الكلام وحسن التنظيم وصدق التعبير لفظا ومعنى، والتي يفرق بها حسن الكلام من رديئه، وجماله من قبحه، ورفعته من دنوه. وبلاغة الكلام مطابقته لمقتضى الحال. فمن الأحوال ما يتطلب الإيجاز في الكلام، فيكون الإطالة فيه نوعا من الإفراط والتبذير مما يفضي إلى الكلل والملل. ومنها ما يتطلب الإطناب فيه، فيكون الإيجاز فيه نوعا من التقصير والتفريط. ومن الكلام ما يتطلب التشبيه والمجاز والاستعارة والكناية والتقديم والتأخير، ومنه ما يقتضي في صياغته إلى صيغ خبرية أو إنشائية وتكرار أو تفريد وما إلى ذلك من أبواب البلاغة الواسعة.

والبديع أحد فروع البلاغة العربية، يهتم بمحسنات اللفظ والمعنى نثرا وشعرا، بحيث يكون اللفظ منظما منسجما يعطي الجملة رونقا وجمالا، كما يكون المعنى مفهوما سلسا وبليغا يجعل الجملة سرعان ما تدخل الوجدان ويترك أثرا قويا في النفوس دونما عناء لفهمه.

وهذا البحث محاولة متواضعة لتطبيق ما طرأ في بعض الأحاديث النبوية الشريفة من بلاغة وبخاصة ما يخص بفرعها البديعي.

البديع فى عرف البلاغيين:

البديع لغة الجديد المخترع لا على مثال سابق ولا احتذاء متقدم. تقول بدع الشيء وأبدعه فهو مبدع. وفي التنزيل (قل ما كنت بدعا من الرسل)[1]. واصطلاحا علم تعرف به الوجوه والمزايا التي تكسب الكلام حسنا وقبولا بعد رعاية المطابقة لمقتضى الحال التي يورد فيها ووضوح الدلالة على ما عرفت في العلمين السالفين،[2] أي البيان والمعاني.

أقسام المحسنات البديعية:

تعددت الآراء عن أقسام المحسنات البديعية، فقد دون عبد الله بن المعتز العباسي المتوفى سنة 274هـ قواعد البديع ووضع أصوله واستقصى ما في الشعر من المحسنات وألف كتابا باسم (البديع) وذكر فيه سبعة عشر نوعا، ويعتبر أنه أول من دون ووضع قواعد البديع. ثم ألف معاصره جعفر بن قدامة كتابا سماه (نقد قدامة) وذكر فيه ثلاثة عشر نوعا زيادة على ما أملاه ابن المعتز. ثم جاءت التآليف تترى حتى وصلت إلى مائة وستين نوعا على يد عبد الغني النابلسي.[3]

وتنقسم المحسنات البديعية بصفة عامة إلى قسمين، محسنات معنوية ومحسنات لفظية. والمحسنات المعنوية هي التي يكون التحسين بها راجعا إلى المعنى أولا وبالذات، والمحسنات اللفظية هي التي يكون التحسين بها راجعا إلى اللفظ أصالة. والمحسنات المعنوية كثيرة كما سبق أن ذكرنا، ولكن ما اشتهر أمره عند البلاغيين، هي الطباق أو المطابقة، والمقابلة، ومراعاة النظير، وتشابه الأطراف، والإرصاد، والمشاكلة، والمزاوجة، والعكس أو التبديل، والرجوع، والتورية، والاستخدام، واللف والنشر، والجمع، والتفريق، والتقسيم، والجمع مع التفريق، والجمع مع التقسيم، والجمع مع التفريق والتقسيم، والتجريد، والمذهب الكلامي، وحسن التعليل، والتفريع، وتأكيد المدح بما يشبه الذم، وتأكيد الذم بما يشبه المدح، والاستتباع، والإدماج، والتوجيه، والهزل الذي يراد به الجد، وتجاهل العارف، والقول بالموجب، والاطراد.

وأما المحسنات اللفظية فمنها الجناس أو التجنيس، ورد العجز على الصدر، والسجع، والموازنة، والقلب، والتشريع، ولزوم ما يلزم.

تطبيق البديع في الأحاديث النبوية الشريفة

وفيما يلي دراسة تطبيقية لما تيسر لي من علم البديع في بعض الأحاديث النبوية الشريفة.

الحديث الأول:

حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: كان النبي صلى الله عليه وسلم بارزا يوما للناس فأتاه رجل فقال: ما الإيمان؟. قال: "الإيمان أن تؤمن بالله وملائكته وبلقائه وبرسله وتؤمن بالبعث"،

قال: ما الإسلام؟ قال: "الإسلام أن تعبد الله ولا تشرك به وتقيم الصلاة وتؤدي الزكاة المفروضة وتصوم رمضان، قال: ماالإحسان؟ قال: "أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك، قال: متى الساعة؟ قال: "ما المسؤول عنها بأعلم من السائل، وسأخبرك عن أشراطها؛ إذا ولدت الأمة ربها، وإذا تطاول رعاة الإبل البهم في البنيان، في خمس لا يعلمهن إلا الله" ثم تلا النبي صلى الله عليه وسلم (إن الله عنده علم الساعة)، الآية. ثم أدبر، فقال: ردوه، فلم يروا شيئا. فقال: "هذا جبريل[4] جاء يعلم الناس دينهم.[5]

مرجع الحديث:

أخرجه البخاري في: 2- كتاب الإيمان، 38 باب سؤال جبريل النبي صلى الله عليه وسلم عن الإيمان والإسلام. وأخرجه مسلم في كتاب الإيمان، باب الإيمان بالقدر.

اللغة:

بارزا: ظاهرا، ومنه قوله تعالى: (وترى الأرض بارزة)[6]، وقوله: (وبرزوا لله جميعا)[7]، وقوله: (ولما برزوا لجالوت وجنوده).[8]

الأشراط: بفتح الهمزة، وواحدها شرط بفتح الشين والراء: الأمارات، بفتح الهمزة وهي العلامات.

ربها: على التذكير، وفي الأخرى بعلها، يعني السراري بتشديد الياء وتخفيفها، الواحدة: سرية بالتشديد لاغير، والسرية: الجارية المتخذة للوطء مأخوذة من السر وهو النكاح، قال أهل اللغة: بعل الشيء: ربه ومالكه، وقال ابن عباس رضي الله عنهما والمفسرون في قوله تعالى: (أتدعون بعلا) أي ربا، وقيل: المراد هنا: الزواج.[9]

وقوله: إذا ولدت الأمة ربتها، المراد منه أقوال كثيرة، أهمها: أنه كناية عن كثرة أولاد السراري، فإن ولد الأم من سيدها بمنزلة سيدها لأن مال الإنسان صائر إلى ولده، ولا شك أنها مال لأبيه. وقيل: كناية عن فساد الحل لكثرة بيع أمهات الأولاد، فيتداولهن المالكون فيشتري الرجل أمه وهو لا يشعر. وقيل: كناية عن كثرة الفتوحات والسبي. وقيل: كناية عن أن الإماء يلدن الملوك، لأن أمه حينئذ تكون من رعيته وهو سيدها وسيد غيرها من رعيته. وقيل: إنه كناية عن كثرة العقوق حتى يصير الولد لقلة بره بأمه كأنه مولاها.[10]

الساعة: المراد منها القيامة. أي عن وقتها، سميت بذلك لسرعة قيامها.[11]

الرعاة: ويقال فيهم رعاء، ومعناه: أن أهل البادية وأشباههم من أهل الحاجة والفاقة تبسط لهم الدنيا حتى يتباهون في إطالة البنيان، يعني أن العرب تستولي على الناس وبلادهم ويزيدون في بنيانهم، وهو إشارة إلى اتساع دين الإسلام.[12]

البهم: بفتح الباء وإسكان الهاء: صغار الضأن والمعز.[13] والبهم: جمع الأبهم، وهو الذي لا شية له، أو جمع بهم، وفي الميم: الرفع نعتا للرعاة، أي السود أو المجهولون الذين لا يعرفون، والجر: صفة للإبل، أي رعاة الإبل السود.[14]

يتطاولون في البنيان: تنافسوا في رفع البناء ويتفاخرون فيه.[15]

المعنى الإجمالي للحديث:

في هذا الحديث يشير الرسول صلى الله عليه وسلم إلى معنى الإيمان والإسلام والإحسان وأشراط الساعة. ويفهم منه أن الإيمان هو تصديق بالله وملائكته ورسله وتؤمن بالبعث. وكرر لفظ "الإيمان" في الحديث للاعتناء بشأنه وتفخيما لأمره. ومنه قوله تعالى: (قل يحييها الذي أنشأها أول مرة) في جواب: (من يحي العظام وهي رميم؟). وكرر لفظ "تؤمن" في قوله (وتؤمن بالبعث) بأنه نوع آخر من المؤمن به، لأن البعث سيوجد فيما بعد، وأخواته موجودة الآن.[16] وأن الإسلام هو توحيد الله وعدم الإشراك به وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة المفروضة وصيام رمضان.

وقوله: "الإسلام أن تعبد الله ولا تشرك به شيئا، وتقيم الصلاة وتؤتي الزكاة وتصوم رمضان)، العبادة هي الطاعة مع خضوع، فعلى هذا إنما اقتصر على هذه الثلاث (الصلاة والزكاة والصوم) لإدخالها في الإسلام ولكونها من أركان الإسلام والباقي ملحق بها، فعلى هذا يكون عطف الصلاة وغيرها من باب ذكر الخاص بعد العام، تنبيها على شرفه ومزيته، لقوله تعالى: (وإذ أخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح).[17]

وقوله: "وتؤدي الزكاة المفروضة"، قيل: احترز بالمفروضة عن الزكاة المعجلة قبل الحلول، فإنها ليست مفروضة حال الأداء، وقيل: احترز من صدقة التطوع فإنها زكاة لغوية.[18] وقيل: لأنها مقدرة النصاب والقدر المخرج. والفرض: التقدير.[19]

وأن الإحسان هو طاعة الله مع الخضوع والتذلل كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك.

وقيل: قدم السؤال عن الإيمان لأنه الأصل، وثني بالإسلام لأنه يظهر به تصديق الدعوى، وثلث بالإحسان لأنه متعلق بهما.[20]

التحليل البلاغي البديعي:

يوجد في هذا الحديث:

1- جناس الناقص المطلق في قوله (الإيمان أن تؤمن). وهذا الجناس كما يراه الدكتور أحمد مطلوب هو: "أن تختلف الأحرف وتتفق الكلمتان في أصل واحد يجمعهما الاشتقاق، كقول جرير:

فما زال معقولا عقال عن الندى # وما زال محبوسا عن المجد حابس[21].[22]

فجانس بأربعة أشياء، هي: معقولا، وعقال، ومحبوسا وحابس. وسمي هذا النوع مطلقا لأنه لا يشترط فيه أمر معين.

وقد سبقه التبريزي في هذه التسمية. وأطلقه الشيخ أحمد الحملاوي بجناس الاشتقاق، ومثل له بقوله تعالى: (لا أعبد ما تعبدون. ولا أنتم عابدون ما أعبد)[23]، فقيل يسمى جناس الاشتقاق، وقيل هو غير جناس، والصواب الأول"[24]، فقد اشتقت الكلمات (أعبد وتعبدون وعابدون) من لفظ (عبادة) وهي متفقة في أصل واحد.

وسماه المراغي الملحق بالتجنيس، ومثل له بقوله تعالى: (فأقم وجهك للدين القيم[25])[26]. فقوله (أقم والقيم) ملحق بالتجنيس.

أما ابن أبي الإصبع المصري فسماه: "تجنيس التغاير"، وقال: "وهو أن إحدى كلمتي التجنيس اسما والأخرى فعلا، وقد مثل له بقوله تعالى: (إثاقلتم إلى الأرض أرضيتم بالحياة الدنيا من الآخرة)[27]"[28]. فقوله (الأرض) و(أرضيتم) ملحق بالتجنيس.

ويدخل في هذا التجنيس كلمتا "المسؤول والسائل" من هذا الحديث، كما سبق. فالمسؤول والسائل كلمتان متفقتان في أصل الاشتقاق (سأل).

والخلاصة: أن جناس الناقص المطلق أو جناس الاشتقاق من حيث اللفظ اختلاف الكلمتين في الأحرف واتفاقهما في أصل الاشتقاق، أما من حيث المعنى فيجوز أن تكون الكلمتان مختلفتين في المعنى كما يجوز كون الكلمتين متفقتين فيه، كما في مثال الشيخ أحمد الحملاوي[29] والدكتور أحمد مطلوب[30].

2- التقسيم، وذلك في عبارة "الإيمان أن تؤمن بالله وملائكته وبلقائه ...." فقد ذكر الرسول عليه الصلاة والسلام في هذا الحديث أقساما متعددة للإيمان، استقصاء لجميع أقسام الإيمان.

والتقسيم هو التجزئة والتفريق[31]. والتقسيم في عرف البلاغيين أن تقسم الكلام على جميع أنواعه ولا يخرج منها جنس من أجناسه.

3- طباق السلب في جملة "فإن لم تكن تراه فإنه يراك". فطباق السلب هو "الجمع بين فعلي مصدر واحد مثبت ومنفي أو أمر ونهي"[32]. فقد جمع الرسول عليه الصلاة والسلام في هذه الجملة بين معنيين متقابلين وهما السلب والإيجاب، لأن تقدير المعنى فيه: "فإن لم تكن ترى الله فإن الله يراك"، وذلك للتأكد بأن البشر لا يرى الله، والعكس صحيح.

4- أسلوب الحكيم، وهو ما جاء في جواب الرسول عليه الصلاة والسلام لسؤال جبريل عليه السلام عن الساعة. وأسلوب الحكيم هو "تلقي المخاطب بغير ما يترقبوا، إما بترك سؤاله والإجابة عن سؤال لم يسأله، وإما بحمل كلامه على غير ما كان يقصد إشارة إلى أنه كاد ينبغي له أن يسأل هذا السؤال أو يقصد هذا المعنى"[33] وقد ورد هذا الجواب منه على طريقة "أسلوب الحكيم" (ما المسؤول عنها بأعلم من السائل)، للتنبيه على غموض هذه المسألة وعدم معرفة البشر عن موعدها وأنها مما استأثر الله بعلمه، وكما أن استخدام الرسول عليه الصلاة والسلام هذا الأسلوب للفت الأنظار بعلو مكانة السائل وقدر شانه وأنه يسأل لا للحصول على المعرفة وإنما للاختبار وتعليم من حوله.

5- جناس الاشتقاق أو جناس الناقص المطلق في سؤال جبريل عليه السلام "ما المسؤول عنها بأعلم من السائل".[34] فالمسؤول والسائل متفقتان في أصل الاشتقاق وهو كلمة (سأل)، وقد تقدم البحث عنه.[35]

الحديث الثاني:

حديث طلحة بن عبيد الله قال: جاء رجل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم من أهل نجد ثائر الرأس يسمع دوي صوته ولا يفقه ما يقول حتى دنا فإذا هو يسأل عن الإسلام، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: خمس صلوات في اليوم والليلة، فقال: هل علي غيرها؟، قال: لا، إلا أن تطوع... قال: فأدبر الرجل وهو يقول: والله لا أزيد على هذا ولا أنقص.[36]

مرجع الحديث:

خرجه البخاري في كتاب الإيمان، وباب الزكاة من الإسلام. وخرجه مسلم في كتاب الإيمان، باب أمور الإسلام.

اللغة:

قوله (نجد) الناحية التي بين الحجاز والعراق، أو ما ارتفع من الأرض. والجمع نجاد ونجود وأنجد. سميت نجدا لارتفاعها. وقوله (ثائر الرأس) متفرق الشعر، منتشره ومتفشه. وقوله (دوي الصوت) بفتح الدال وكسر الواو وتشديد الياء، شدته وارتفاعه وتكرره كدوي النحل، ومعناه صوت شديد لا يفهم منه شيء. قوله (ولا يفقه) من الفقه وهو الفهم، ومنه قوله تعالى (يفقهوا قولي)[37] أي يفهموا. وقوله (دنا) من الدنو، التقرب.

وقوله صلى الله عليه وسلم (إلا أن تطوع) بتشديد الطاء والواو، وأصله: تتطوع بتاءين، فأدغمت إحدى التاءين في الطاء. وقوله صلى الله عليه وسلم (فأدبر) من الإدبار وهو التولي، وقوله صلى الله عليه وسلم (أفلح) من الإفلاح وهو الفوز والبقاء.

التحليل البلاغي البديعي:

يشتمل هذا الحديث على:

1- التقسيم[38] في جواب الرسول صلى الله عليه وسلم لسؤال رجل من أهل البادية عن الإسلام (خمس صلوات في اليوم والليلة وصيام رمضان والزكاة).

2- طباق حقيقي وهو "الجمع بين المتضادين أي معنيين متقابلين في الجملة"[39] في قول رجل البادية (لا أزيد ولا أنقص)[40] فقد طابق الرجل بين قوله (أزيد وأنقص) للتنبيه على أنه لا يزيد على ما أوجب الله عليه من صلاة وصيام وزكاة شيئا، كما أنه لا ينقص منه شيئا. وهذا مما يدل على أن الإشكال قد زال في الفرائض.

وهناك طباق أيضا في قوله صلى الله عليه وسلم (اليوم والليلة). فقد طابق بين كلمة (اليوم) و(الليلة)، تأكيدا بأن الصلوات الخمس تقام ليلا ونهارا.

الحديث الثالث:

حديث أبي أيوب الأنصاري رضي الله عنه، أن رجلا قال: يارسول الله أخبرني بعمل يدخلني الجنة، فقال القوم ماله، ماله! فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: أرب ماله، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: تعبد الله ولا تشرك به شيئا.....[41]

مرجع الحديث:

أخرجه البخاري في: 78 كتاب الأدب: 10- باب فضل صلة الرحم. وأخرجه مسلم في: كتاب الإيمان- باب بيان الإيمان الذي يدخل به الجنة بلفظ غيره.

اللغة:

قوله (ماله ماله) كلمة (ما) للاستفهام، وكرر للتأكيد، بمعنى: أي شيء جرى له؟ وقوله صلى الله عليه وسلم (أرب) اختلفوا في هيئة هذه الكلمة وفي معناها أيضا. أما في الأول فقيل: (أرب) بفتح الهمز وكسر الراء وتنوين الباء على وزن حذر. وقال ابن قرقول: يروي (أرب ماله) اسم فاعل مثل (حذر). ويرى العيني أن مثل هذا لايسمى اسم فاعل، بل هو صفة مشبهة. وقيل: (أرب) بفتح الهمزة وفتح الراء أيضا وتنوين الباء. وقيل: (أرب) بفتح الهمزة وفتح الراء وفتح الباء على صيغة الماضي، وقيل على صيغة الماضي ولكنه بكسر الراء (أرب).

وأما اختلافهم في المعنى:

فالأول: معناه (صاحب الحاجة)، وهو خبر لمبتدأ محذوف تقديره: هو أرب. والثاني معناه: له إرب أي حاجة بصورة الماضي على اختلاف حركة عين الفعل، معناه: احتاج. وفي رواية قال القوم ماله ماله، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: "(أرب ماله)" فـ(ما) صلة، أي حاجة ما أو أمر ماله؟

وقوله صلى الله عليه وسلم (تعبد الله) أي: توحده، وفسره بقوله: (ولا تشرك به شيئا). قال تعالى: (وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون) أي ليوحدوني. وقوله صلى الله عليه وسلم: (ولا تشرك به شيئا)، إنما ذكر بعد العبادة لأن الكفار كانوا يعبدون الله سبحانه في الصورة ويعبدون معه أوثانا ويزعمون أنها شركاء ففي هذا.[42]

وقوله صلى الله عليه وسلم (وتصل الرحم) معناه: مشاركة ذوي القرابة في الخيرات، وإنما خص هذا من بين سائر واجبات الدين نظرا إلى حال السائل كأنه كان قطاعا للرحم مبيحا لذلك فأمرت به لأنه هو المهم بالنسبة له.[43]

وقوله (ذرها) أي اترك الراحلة، كأن الرجل كان على ناقته حين سأل المسألة، فلما حصل مقصوده من الجواب قال له: دع الراحلة تمشي إلى منزلك، أو كان الرسول صلى الله عليه وسلم راكبا وهو كان آخذا بزمام راحلته، فقال النبي صلى الله عليه وسلم بعد أن أجاب سؤال الرجل: "دع زمام الراحلة".

التحليل البلاغي البديعي للحديث:

يشتمل هذا الحديث على:

1- رد العجز إلى الصدر، وهو أن يجعل أحد اللفظين المكررين أو المتجانسين أو الملحقين بهما في أول الفقرة والآخر في آخرها[44]، وذلك بين اللفظتين (ما) في سؤال القوم (ماله! ماله!) و(ما) في جواب الرسول صلى الله عليه وسلم لسؤال القوم (أرب ماله) لاتفاق اللفظتين صورة واختلافهما معنى، حيث يكون معنى (ما) الأولى استفهاما والتقدير أي شيء جرى له؟ ومعنى (ما) الثانية صلة، ويكون التقدير: حاجة ما أو أمر ماله.[45] ويجوز

أن يكون بين اللفظين (ما استفهام وما صلة) جناس تام لاتفاقهما لفظا واختلافهما معنى وبين رد العجز على الصدر والجناس قريب الصلة.

فقد استخدم الرسول صلى الله عليه وسلم "رد العجز على الصدر" في هذا الحديث للملاءمة بين جوابه لسؤال القوم عند تعجبهم بتلك الحال.

2- صحة التقسيم.[46] وذلك في قوله صلى الله عليه وسلم: (تعبد الله ولا تشرك به شيئا وتقيم الصلاة وتؤتي الزكاة وتصل الرحم). استخدم الرسول صلى الله عليه وسلم "صحة التقسيم" ليوضح للسائل بأن هذا الأمر مهم كان لزاما عليهم أن يعملوها، بحيث إنهم لا يتركون أي شيء منها.

الحديث الرابع:

حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن أعرابيا أتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: دلني على عمل إذا عملته دخلت الجنة، قال: تعبد الله ولا تشرك به شيئا وتقيم الصلاة المكتوبة وتؤدي الزكاة المفروضة وتصوم رمضان، قال: والذي نفسي بيده لا أزيد على هذا، فلما ولى قال النبي صلى الله عليه وسلم: من سره أن ينظر إلى رجل من أهل الجنة فلينظر إلى هذا.

مرجع الحديث:

أخرجه البخاري في كتاب الزكاة، باب وجوب الزكاة، وأخرجه مسلم في كتاب الإيمان، باب بيان الإيمان الذي يدخل به الجنة.

اللغة:

1- فقوله صلى الله عليه وسلم (وتصوم رمضان) فقد زاد الرسول صلى الله عليه وسلم هذا بالنسبة للحديث السابق، لأن الظاهر أنه قد فرض، ولم يذكر الحج لأنه لم يفرض بعد، ولا الجهاد لأنه ليس بفرض على الأعراب.[47]

2- وقوله صلى الله عليه وسلم: (والذي نفسي بيده) جملة قسم، وقوله: (لا أزيد على هذا) أي عن الفرائض، وقوله: (ولى) أي أدبر وذهب.

3- وقوله صلى الله عليه وسلم (من سره أن ينظر إلى رجل من أهل الجنة فلينظر إلى هذا) لأن الرسول صلى الله عليه وسلم علم أن الرجل يوفي بما التزم، وأنه يدوم على ذلك ويدخل الجنة.

التحليل البلاغي البديعي للحديث:

يشتمل الحديث على:

1- جناس الاشتقاق، في قوله: (عمل إذا عملته)، لاتحاد اللفظين في الاشتقاق.

2- صحة الأقسام، وذلك في قوله صلى الله عليه وسلم: (تعبد الله لا تشرك به شيئا إلى آخره)، وقد تقدم تعريفها.[48]

3- اقتباس، وهو "تضمين النثر أو الشعر شيئا من القرآن الكريم أو الحديث الشريف من غير دلالة على أنه منهما، ويجوز أن يغير في الأثر المقتبس قليلا"[49]، وهو في قوله صلى الله عليه وسلم (الصلاة المكتوبة) من قوله تعالى: (إن الصلاة كانت على المؤمنين كتابا موقوتا)[50].

4- رد العجز إلى الصدر في قوله صلى الله عليه وسلم: (أن ينظر – فلينظر) لوقوع اللفظين المكررين، أحدهما في أول الحديث، والآخر في آخره، وهذا من المحسنات اللفظية.

فقد استخدم النبي صلى الله عليه وسلم في الحديث الذي سبق ذكره جناس الاشتقاق والتقسيم ورد العجز إلى الصدر. وذكر العلوي أن الاشتقاق ورد العجز على الصدر متقاربان، والثاني أعم من الأول.[51]

الحديث الخامس:

حديث ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما بعث معاذا ..... فإذا عرفوا الله فأخبرهم أن الله قد فرض عليهم خمس صلوات في يومهم وليلتهم، فإذا فعلوا فأخبرهم أن الله فرض عليهم زكاة من أموالهم وترد على فقرائهم، فإذا أطاعوا بها فخذ منهم.

في الحديث السابق نجد:

1- طباق الإيجاب[52] في قوله صلى الله عليه وسلم: (يومهم وليلتهم) وذلك لوقوع اللفظين المتضادين في المعنى بين قوله (يوم) و(ليلة).

2- السجع المطرف[53]، وهو في قوله صلى الله عليه وسلم: (ليلتهم وأموالهم وفقرائهم ومنهم)، وذلك لاختلاف الفواصل في الوزن واتفاقها في الحرف الأخير. أو ما يمكن أن يسمى بـ"لزوم ما يلزم" وهو "أن تكون الحروف التي قبل الفاصلة حرفا واحدا أو حركة مخصوصة".[54] وذلك لالتزام الرسول صلى الله عليه وسلم بحرف واحد وهو الهاء وحركة واحدة وهي الكسر.

الخلاصة:

1- أن أحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم كلام فصيح لسلامته من أي تنافر، سواء في حروفه أو في كلماته أو في جملته، كما أنه كلام بليغ بديعي لوصوله إلى أعلى مراتب البلاغة واشتمالها على أنواع البديع المختلفة، وصدق الرسول عليه الصلاة والسلام حيث يقول: (أعطيت ما لم يعط أحد قبلي، منها جوامع الكلم).

2- استخدم الرسول صلى الله عليه وسلم في خمسة أحاديث ثمانية أنواع من الفنون البديعية، وهي الجناس الناقص المطلق وجناس الاشتقاق وصحة التقسيم وطباق الإيجاب وطباق السلب وأسلوب الحكيم ورد العجز إلى الصدر الاقتباس والسجع المطرف أو لزوم ما يلزم.

المصادر و المراجع

[1] الأحقاف، الآية 9.

[2] أحمد مصطفى المراغي، علوم البلاغة، دار الأفاق العربية، ص379.

[3] أحمد مصطفي المراغي، مرجع سابق، ص379.

[4] جبريل لفظ سرياني معناه عبد الرحمن أو عبد العزيز ذكره ابن عباس. وإسناد التعليم إلى جبريل مجاز، وهو إسناد الشيء إلى غير ما هو له، لأنه السبب في الجواب وليست حقيقية، والحقيقة هو الرسول الذي يعلم الدين وجبريل سبب في إجابة الرسول صلى الله عليه وسلم لتلك الأسئلة. موسى شاهين لاشين: فتح المنعم، جـ1، ص 22.

[5] اللؤلؤ والمرجان، وضعه محمد فؤاد عبد الباقي، جـ1، ص15، كتاب الإيمان، باب الإيمان ماهو وبيان خصاله، حديث رقم 5.

[6] الكهف، الآية 47.

[7] إبراهيم، الآية 21.

[8] البقرة، الآية 250.

[9] صحيح مسلم بشرح النووي، جـ1، ص159 بتصرف.

[10] موسى شاهين لاشين، فتح المنعم، جـ1، ص21 بتصرف.

[11] المرجع السابق، جـ1، ص22.

[12] المرجع السابق، جـ1، ص22.

[13] المرجع السابق، جـ1، ص2.

[14] محمد فؤاد عبد الباقي، اللؤلؤ والمرجان، جـ1، ص15.

[15] العيني، العمدة، جـ1، ص453.

[16] المرجع السابق، جـ1، ص454.

[17] صحيح مسلم بشرح النووي: جـ1، ص145.

[18] موسى شاهين لاشين، فتح المنعم، جـ1، ص23.

[19] العيني، العمدة، جـ1، ص448.

[20] المرجع السابق، جـ1، ص454.

[21] أحمد مطلوب، فنون بلاغية، ط1، دار البحوث العلمية، 1975/1395، ص225.

[22] البيت من بحر الطويل عروضه مطوية وضربه كذلك.

[23] الآية رقم 2 و3 من سورة الكافرون.

[24] الحملاوي، زهر الربيع، ط7، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، 1971/1391، ص162.

[25] الروم، الآية 43.

[26] المراغي، علوم البلاغة، دار الآفاق العربية، د.ت.، ص417.

[27] التوبة، الآية 38.

[28] ابن أبي الإصبع المصري (585-654هـ)، بديع القرآن، تحقيق حفني محمد شرف، نهضة مصر، ص28. وانظر تحرير التحبير، ص104، وانظر أيضا فنون بلاغية، للدكتور أحمد مطلوب، ص226.

[29] الحملاوي، زهر الربيع، ص162.

[30] أحمد مطلوب، فنون بلاغية، ص225.

[31] اللسان، مادة (قسم).

[32] الإيضاح للقزويني، دار الكتب العلية، بيروت، لبنان، ص350.

[33] علم البديع للمراغي، ص106.

[34] اللؤلؤ والمرجان، ج1، ص15.

[35] انظر ص .

[36] اللؤلؤ والمرجان، جـ1، ص15.

[37] طه، الآية 28.

[38] راجع معنى التقسيم ص

[39] الإيضاح للقزويني، ص348.

[40] اللؤلؤ والمرجان، ج1، ص16.

[41] اللؤلؤ والمرجان، ج1، ص16.

[42] العيني، عمدة القارئ، جـ7، ص166، ط1، 1392هـ/1972م، مطبعة مصطفى البابي الحلبي.

[43] المرجع نفسه. وانظر: شرح البخاري للكرماني، ج7، ص168، ط2، 1401هـ/1981، دار أحياء التراث العربي.

[44] الإيضاح، للقزويني، ص399.

[45] عمدة القاري للعيني، القاهرة، مكتبة مصطفى البابي الحلبي، ج7، ط1، 1392هـ / 1972م، ص165-166.

[46] ينظر ص

[47] العيني، عمدة القاري، جـ7، ص168.

[48] تقدم تعريفها، ينظر ص

[49] إدريس بن عبد الله، الحديث من الوجهة البلاغية، قسم الدراسات العربية والحضارة الإسلامية بالجامعة الوطنية الماليزية، ص 18.

[50] النساء، الآية 103.

[51] الطراز، ج2، ص391. وانظر فنون بلاغية للدكتور أحمد مطلوب، ص238.

[52] انظر ص

[53] انظر ص

[54] المثل السائر، لابن الأثير الجزري، ج1، ص258، ط1، 1419هـ / 1998م، دار الكتب العلمية، بيروت. انظر : أحمد مطلوب، فنون بلاغية، ص260.